

الحبيب ﷺ صاحباً

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]

وصف الله تعالى نبيه ﷺ بلين الجانب لأصحابه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159] فكانت الألفة بينه وبين أصحابه من أقوى ما تكون، وهو ما جعل كثيراً من المشركين يتعجبون لهذه الرابطة القويّة التي جمعتها بأصحابه، حتى لقد وصف ذلك أبو سفيان بن حرب قبل إسلامه فقال: «ما رأيتُ من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً!!» [السيرة النبوية لابن هشام]. وفي معاملته ﷺ لأصحابه من حسن الخلق ما لا يخفى، ولذلك صور عديدة منها:

تلففه ﷺ وتبأسطه مع أصحابه وممازحتهم

فقد كان أحد الصحابة رجلاً دميماً، وكان ﷺ يحبه، فأتاه النبي يوماً، وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، وجعل النبي يقول: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟!!» فقال: «يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسداً». فقال النبي: «لَكِنَّ عِنْدَ اللَّهِ لَسَتْ بِكَاسِدٍ». أو قال: «لَكِنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ» (رواه أحمد).

رأى النبي ﷺ صهيياً وهو يأكل تمرًا وبعينه رمد، فقال له النبي ﷺ ممازحاً: «أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَبِكَ رَمْدٌ؟!!» فقال صهييب: «إِنَّمَا أَكُلُ عَلَى شِقْيِ الصَّحِيحِ لَيْسَ بِهِ رَمْدٌ!! فَصَحِّحْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» (رواه الحاكم)

وكان ﷺ يمزح معهم، ولا يقول إلا حقاً.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»، قال بعض أصحابه: «فإنك تداعبنا يا رسول الله؟!»، فقال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» (رواه أحمد).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يمازحونه لعلمهم بتواضعه وكرامته وأخلاقه معهم. قال عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ»، وَقَالَ: «ادْخُلْ»، فَقُلْتُ: «أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!» قَالَ: «كُلْكَ. فَدَخَلْتُ» (رواه أبو داود).

- كان لمعاملة النبي ﷺ لأصحابه أثر كبير في حب الصحابة الشديد له ﷺ، وضح ما

تقول من سيرته ﷺ.

- كيف يمكن أن تمزح من غير أن تخطئ أو تقول شيئاً غير الحق؟



صلحه ﷺ بين أصحابه وقضاؤه حوائجهم

يروى لنا عن ذلك سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصَلِّحَ بَيْنَهُمْ» (رواه البخاري).
وأوصى أصحابه بالرفق على الضعيف فقال: «ابْعُونِي الضَّعْفَاءَ فَإِنَّمَا تُرْزُقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ» (رواه أبو داود).

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» (رواه البخاري).



للصداقة آداب، وللصديق على صديقه حقوق، وضح ذلك من سيرته ﷺ.

ثناؤه ﷺ على أصحابه وإظهار فضلهم

وكان ﷺ يثني على أصحابه إظهاراً لفضلهم وعلو قدرهم.. فنجده يعامل أصحابه معاملة تدل على حبه لهم جميعاً؛ وكأنه يخص كل صحابي بحب خاص يختلف عن باقي أصحابه فنجد رسول الله يصف أصحابه بصفات تُعزز من الألفة والتقارب بينه وبينهم، فيصف الزبير بن العوام بأنه حواريه فقال ﷺ: «الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوَارِيِّي مِنْ أُمَّتِي» (رواه أحمد) أي نصري وخاصتي من أصحابي، ويصف أبا بكر وعمر بأنهما وزيراه فقال ﷺ: «وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» (رواه الترمذي)، وجعل حذيفة كاتم سره، ولقب ﷺ أبا عبدة بأنه أمين الأمة: «وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ» (رواه البخاري).

مدافعتة ﷺ عن أصحابه ومعارضته الاستهزاء بهم

ومن ذلك أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟!» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه!! فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» (رواه أحمد).

قال رسول الله ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَمْرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عَثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَبُهُمْ أَبِي وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ» (رواه الترمذي والنسائي).

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في شرب الخمر، فأتى به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به!، فقال النبي ﷺ: (لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ!)» (رواه البخاري).

مشاركته ﷺ لأصحابه في السراء والضراء

كان النبي ﷺ لا يأكل دون إشارك أصحابه معه؛ ولما صُنِعَ له طعام في يوم معركة الخندق نادى في أصحابه قائلاً: «يَا أَهْلَ الْخَنْدِقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا [أي طعامًا دعا الناس إليه]، فَحَيِّ هَلَا بِكُمْ [أي هلموا مسرعين]» (رواه البخاري).



شبه النبي ﷺ المؤمنين في توادهم وتراحمهم بأنهم كالجسد الواحد، فما دلالة ذلك وأثره في خلق مجتمع قوي ومترابط؟

زيارته ﷺ مرضى أصحابه وشهادته جنازتهم

روى ذلك سهل بن حنيف عن أبيه رضي الله عنهما فقال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَيَزُورُهُمْ، وَيَعُودُ مَرَضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ» (رواه البيهقي).

شعوره ﷺ بآلام أصحابه ومواساتهم

ومن هديه ﷺ مع أصحابه في وقت الشدة والبلاء التسلية والعزاء، فكان يشعر بآلامهم، ويجعل لهم من محنتهم منحةً، ومن الحزن فرحاً، ومن الألم أملاً.

قال قرة بن إياس رضي الله عنه: «كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعه بين يديه، فهلك [مات]، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقدته النبي ﷺ فقال: «مَا لِي لَا أَرَى فَلَانًا؟!» قالوا: «يا رسول الله، بنيه الذي رأيته هلك. فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيته، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: «يَا فَلَانُ أَيَّمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ: أَنْ تَمْتَعَ بِهِ عُمُرُكَ، أَوْ لَا تَأْتِي عَدَا إِلَى بَابِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟» قال: «يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهُو أَحَبُّ إِلَيَّ، قال: «فَذَاكَ لَكَ»، فقالوا: «يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟» قال: «بَلْ لِكُلِّكُمْ» (رواه النسائي).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثِمَارِ ابْتِنَاعِهَا فَكَثُرَ دَيْنُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ». فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَتْرَفَقًا بحاله: «خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ» (رواه مسلم).



استشارته ﷺ لأصحابه وعدم انفراده برأيه دونهم

ومن أحواله ﷺ مع أصحابه استشارته لهم، فكثيراً ما كان يقول لهم: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ» (رواه مسلم).

حرصه ﷺ على تعليم أصحابه

وكان ﷺ حريصاً على تعليم أصحابه.. حينما أساء رجل في صلاته ولم يحسن القيام بها علمه ﷺ صفتها ثم قال ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي» (رواه البخاري).
وفي حجة الوداع قال ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (رواه مسلم).

دعاؤه ﷺ لأصحابه ولأبنائهم

ومن صور ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النَّصَبِ والجوع» قال: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ.. فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ».. فقالوا مجيبين له: «نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً» (رواه البخاري).

قال أبو ذر رضي الله عنه: «تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلَّبُ جَنَاحِيهِ فِي الْهَوَاءِ إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عَلِمًا. قَالَ: فَقَالَ ﷺ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ» (رواه الطبراني).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، فَيَسَلُّمُ عَلَيَّ صِبْيَانِهِمْ، وَيَمَسِّحُ بِرُؤُوسِهِمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ» (رواه النسائي).



ما دلالة قوله ﷺ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (متفق عليه)؟

نهي ﷺ لأصحابه عن المبالغة في مدحه

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لَا تُطْرُونِي [تبالغوا في مدحي] كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (رواه البخاري).



هل يمكن القيام بحق الصديق وحق الزوجة والأبناء والجيران والوالدين وحق النفس وغير ذلك بلا تقصير..؟!

كيف تقتدي به ﷺ

1. شَارِكْ صديقك في السراء والضراء وواسه وكن وفيًا له مقتديًا في ذلك بالنبى ﷺ .
2. أَخْلِصِ النَّصْحَ لصديقك واحرص على مصلحته ونصحه كما قال النبي ﷺ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (متفق عليه).
3. أَحْسِنِ اختيارَ أصدقائك، فالمرء مرآة لصاحبه.
4. شَاوِرْ أصدقاءك فيما يجمعكم، ولا تنفرد برأيك دونهم، فكان النبي ﷺ يشاور أصحابه.
5. كن هَيِّنًا لِيَنَّا ولا تتعالَ على أصدقائك وتتفاخر عليهم، أو تزدريهم وتسخر منهم.
6. تَخَلَّقْ بأخلاق الإسلام تكن مقتديًا به ﷺ وتكن خير الأصدقاء.

